

ذكرى الدم الأخضر

مراد السوداني

تسعة عشر عاماً مرّت على ولوغ الغزاة في دمن البريء . . تسعة عشر نهاراً من الدم تتقاطر من خاصرة صبرا وشاتيلا . . حيث ما زالت الذكرى كاويةً والقاتل قاتلاً ، وصوتنا المحترقُ المعشبُ مفتي يدقُّ جدرانَ خزانات الصمت العربيّ والعالميّ المرائي . ولا صريخ لنا إلاّ صدى جرحنا المفتوح على ألسنة النار التي يصنعها برابرة العصر ومهرة الموت تحت مسميات العدالة المخاتلة والإنسانية المواربة . . .

مذابح صبرا وشاتيلا وغيرها تظل كوة سوداء في جدار الاحتلال وسدنته، تتسعُ باتساع الكراهية والحقد الشاروني . . واليوم وفي فلسطين الانتفاضة تصحو خناجر القتلة من جديد . . فصول من جهنم الحقد بمقدمات رمادية تضافُ إلى سيرة القاتل المنذور لنهب الحياة وما اشتق منها من طمأنينة ووداعة نحيلتين .

عامٌ مالحٌ ذابحٌ على انتفاضة حقنا الفلسطيني، وعلى بلادنا المرفوعة على أسنة الوجع اليوميّ وتدمير الغزاة . . هنا طفولة مطحونة، وتراب يئنُّ، يخضرُ بدماء الشهداء . . وهناك قنّاصة الغزاة توزع الموت على المكان والإنسان . . وتبقى مراقداً الشهداء وقبايهم تضيء السماء السابعة . . لتكون فلسطين لسان العرب اللاهب الذي يفضح النقيض بقدر ما هشمّت آياته ودباباته من أزهار الدم المنعوفة فوق ترابنا المشتعل لتبقى فلسطيناً ممكنةً وكرامةً أمتنا ممكنة .

وفي ظلّ مشهد كهذا يظلّ علينا من الشاشات المغبرة أبو عبد الله الصغير مصراً على الصغار والهوان منذ غدره قرطبة الزاهرة، ليعاد استنساخه في حكام تبعية وإلحاق للنظام العالمي الجديد . . تسبّحُ بحمد وحيد القرن، راكلة شعوبها إلى حيث ندرى ولا ندرى . . النظام العولمي الذي يرتب البلاد والعباد وفق قائمة الأسعار والمأكولات العصرية .

وتظلّ علينا أفلامٌ متشاققين منكسةً بعد جفاف محابهم . . أفلامٌ ذليلةٌ وبكاؤونٌ دفاعاً عن الإنسانية الراحلة في نيويورك، فقد ذهب السكرة وأتت الفكرة! وكان فلسطين المهروسة بصواريخ الطوطم العبري وصراخ دماء الشهداء لم توقظ سبات هؤلاء، وقصف أعناق نخيل العراق والرضع لم يحرك قصباتهم الفارغة . . ونحيب الشجر في بقاع الأرض لم ينطق ألسنتهم المتلجلجة .

آن الأوان ليتنادى مثقفو العرب - إن كانوا كذلك - وأحرار العالم لفضح حكام تل أبيب الذين تحرّث ساديتهم الأجساد الغضة والصدور المقذوفة على نيران النقيض . .

على أرض فلسطين نرفع صوتنا المكهرب وأدواتنا المتاحة لرفض صياغات الدب العالمي وعولمته التي تستهدف أنساقنا الثقافية والمعرفية والدينية تحت ذرائع محاربة «الإرهاب» مؤكدين أنّ النظر بعين واحدة لن يقدم سوى الانحياز لـ «إرهابيين» بياقات دولية تعيد إنتاج الدول وفق رؤاها وأحلامها .

وفي الذكرى الـ(19) لمذابح صبرا وشاتيلا تظلّ أفراسُ ترابنا الوطني صاهلةً على الروابي والسفوح تردد : تبقى فلسطين ويرحل الغزاة . .